رؤية سيكوسوسيولوجية لعملية الإختيار الزواجي في المجتمع الجزائري

الأستاذة: غسيري يمينة

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

جامعة محمد خيضر، بسكرة ، الجزائر

الملخص:

تعد مسألة إختيار شريك الحياة الزواجية على مستوى معتبر من الأهمية لدى كل من الشاب والفتاة المقبلين على الزواج في مختلف المجتمعات الإنسانية، ومع ذلك فإن معاييرها والأساليب المرتبطة بها والمعتمدة فيها من أجل تحقيق التوافق في العلاقة الزواجية بين الشريكين المعنيين تختلف بإختلاف الأفراد والجماعات والمجتمعات تبعا لعوامل نفسية وإجتماعية وثقافية...

Le résumé :

Dans toutes les sociétés humaines, la question du choix conjoint ou de la conjointe revêt une importance extrême pour les jeunes désirant de se marier.

Cependant, les critères et les méthodes à même de fixer ce choix et garantir un ajustement entre les partenaires diffèrent selon les individus, les groupes et les sociétés en fonction de plusieurs facteurs psychologiques, sociaux et culturels.

مقدمة:

من أولى التساؤلات والأفكار التي تطرح في أذهان الشباب والشابات المقبلين على الزواج هي: التفكير في الصورة التي يرغب أن يكون عليه شريكه، وما هو السبيل الأمثل الذي يمكنه من خلاله الحصول على شريك يتطابق أو يقترب بشكل مرضي من الصورة التي وضعها كل من الشاب أو الفتاة في مخيلته وذهنه عن مواصفات الشخص الذي يرغب في أن يكون شريك حياته الزواجية.

إن تفكير الشاب أو الفتاة في اختيار وانتقاء الشريك المناسب يقوده لا محال إلى التفكير في الكيفية أو الأسلوب الذي يمكن أن يحقق هدفه ولكن ليس بمعزل عن المعطيات الاجتماعية التي يعيشها أي منهما، فكما هو معروف ففي الوقت الذي يتمتع فيه الفرد شاب كان أم فتاة بشخصية متميزة ومنفردة ومستقلة بالكثير من السمات والخصائص والسلوكات عن غيرها، في الوقت نفسه هناك الكثير من العوامل والتفاعلات التي تربط الفرد وسلوكاته واستجاباته مع جماعات كثيرة لعل من أهمها الأسرة التي تجمعه بها علاقات وجدانية وتفاعلات عميقة الأثر في سلوكه بل وحتى في تكوين جوانب عديدة في شخصيته، الأمر الذي يطرح في ذهن كل من الشاب والفتاة إشكالية: هل أعتمد في إنتقاء شريك حياتي الزواجية على الأخذ برأي والدي والأسس التي ترغبها وتريدها وتتطلع إليها عائلتي؟ أم أعتمد على معاييري الخاصة في الاختيار؟ ثم ما هي الشروط التي يجب أن تتوفر في الشريك الذي سأختاره حتى يكون الإنتقاء موفقا والزواج ناجحا؟

إن لما للزواج من أهمية قصوى في البناء الأسري والإجتماعي وإستمرارية بقاء البشرية فإننا نلح بالدرجة الأولى على ضرورة الإختيار الأحسن لشريك الحياة، حيث أنها النقطة الرئيسة التي يجب إعطاؤها الأهمية الكبرى في كل عملية زواج لتفادي عدم التوافق والتكيف والتكافؤ والطلاق الوشيك بين الزوجين في بناء أسرة سليمة ومد أجيال صالحة.

مفهوم عملية الإختيار الزواجي:

يعد إختيار شريك الحياة من أهم وأصعب القرارات في حياة الفرد، بحيث يتطلب منه الكثير من الوقت والتفكير والجهد العاطفي، وكثيرا ما نسمع عن أثر التكافؤ (الإجتماعي والمادي والثقافي والعمري والديني) على إنجاح الزواج، وقد تتقارب هذه العوامل المهمة بين الطرفين ومع ذلك نرى الكثير من الخلافات والنزاعات ونشهد نسبا متزايدة من الطلاق والإنفصال ضمن مختلف الشرائح المجتمعية، فهل هناك ما نغفل أهميته في عملية إختيار شريك الحياة وقرار الزواج؟

تعرف سناء الخولي عملية الإختيار الزواجي بأنها الطريقة التي يغير بها الفرد وضعه من أعزب إلى متزوج[1].والحقيقة أن هذه العملية لا تأتي غالبا دفعة واحدة بل تمر بعدة مراحل كما بين ذلك آدمز 1986 حيث يرى أن إختيار شريك الحياة يعد عملية معقدة تتضمن أربع مراحل كما يلي:

- **المرحلة الأولى:**

يتم إختيار الشريك من ضمن دائرة التفاعلات الإجتماعية المتوفرة، وفي هذه المرحلة يختار الأشخاص شركاءهم عادة ممن ينجذبون إليهم جسديا وممن يشابهونهم في بعض الخصائص والصفات، الميول والذكاء والشخصية والسلوكات القيمية والأخلاقية والصفات الأخرى.

- **المرحلة الثانية:**

تحدث عملية الكشف عن الهويات من خلال محادثات الكشف عن الذات التي تجري بين الشخصين، تتبعها عملية المقارنة بين القيم، وإذا أدى وقاد ذلك إلى تعميق التجاذب الأصلي بين الطرفين، فإن العلاقة تستمر قدما.

- **المرحلة الثالثة:**

يحدث إستكشاف التكامل والدمج بين الأدوار ولدرجة إحتمالية وإمكانية وجود التعاطف المتبادل، وبمجرد ما تتشابك الأدوار ويتطور التعاطف المتبادل، فإن ثمن الإنفصال مهما كان باهضا يبدأ في أن يتفوق ويطغى على الصعاب والتوترات المرتبطة بالعيش والحياة سويا، وإذا تعمقت الجاذبية المتبادلة بصورة كافية وكانت العوائق أمام الإنفصال قوية بصورة كافية، فإن إندماج وإتحاد العلاقة يحدث بصورة مؤكدة.

- **المرحلة الرابعة:**

يتخذ القرار المتعلق بالإلتزام والإتحاد مدة أطول، وإذا إتخذ وتوصل الطرفان إلى قرار إيجابي بشأن القضايا السابقة فإن الزواج طويل الأمد يحدث. وعندها يدخل الشريكان إلى حياتهما سويا، فإنهما بفاعلية يجلبان معهما تقاليد أسرتين معا، ويضعان ويهيئان للأسس التي ستتكامل وتتحد فيها تلك التقاليد الأسرية الثنائية، ويجب مراعاة أن القرارات المتعلقة بعملية الزواج لا تكون سهلة دائما ، وهنا يبرز دور المرشد أو المعالج الأسري والزواجي الذي قد يضطر الزوجان لمراجعته لمعالجة تلك القضايا المعقدة[2].

ونجد أنه لو قمنا بمقارنة طفيفة لواقع هذه المراحل مع واقع عملية الإختيار الزواجي في المجتمع الجزائري قبل بضعة عقود من الزمن لوجدنا أنه يصعب إسقاطها على واقع إجتماعي كان الزوجان (الشاب والفتاة) لا يلتقيان فيه ولا يريان بعضهما إلا ليلة الزفاف، بينما يمكن إسقاط هذه المراحل وبوضوح على واقع عملية الإختيار الزواجي في مجتمعنا اليوم بفعل المعطيات والمستجدات التي فرضت نفسها على الحياة الإجتماعية بمختلف مجالاتها نتيجة عوامل التغير

الإجتماعي وخروج الفتاة والمرأة للتعليم والعمل...، مما سمح بحدوث الإتصال والتواصل بين الشاب والفتاة وساهم بوضوح في تغيير الكثير من العادات واسلوكات والطقوس والأساليب المتبعة والملازمة لعملية الإختيار الزواجي في مجتمعنا.

أساليب الإختيار الزواجي:

إن أسلوب الإختيار الزواجي بصفة عامة نقصد به الطريقة المعتمدة عند شروع الفرد المقبل على الزواج في عملية الإختيار للشريك المناسب له بكيفية يرتضيها وكذلك المجتمع أيضا، وأساليب الإختيار للزواج قد تنوعت وتعددت حسب الظروف لكنها بقيت كلها متماسكة مترابطة كل منها بالأخرى، وكل علاقة زواج تقع بين حدين، حد الزواج القرابي أو العادي وحد الزواج الخارجي أو غير العادي، ومن بين أشهر أساليب الإختيار للزواج المتبعة في أغلب المجتمعات الإنسانية لاسيم منها مجتمعنا نجد الأسلوب الوالدي والأسلوب الفردي (الشخصي)، والفرق بينهما يكمن فيما سيتضح الآن:

1. **الأسلوب الوالدي:**

وهو ذلك الأسلوب الذي يظهر فيه تدخل الأهل الوالدين الأب والأم خاصة أو واحد من بعض الأقارب الذي إعترف به كرأس للعائلة وسيدها (الجد ، العم، الخال مثلا)، في سير عملية الإختيار للزواج الخاص بالأبناء الذكور والإناث معا، ففي بعض المجتمعات العربية مثلا قد يكون التدخل من طرف الأهل أو الأقارب بصفة مطلقة تجعل الشريكين المقبلين على الزواج لا يستطيعان الخروج على القرار المأخوذ من طرف العائلة حتى ولو كان ذلك ضد رغبتهما بمعنى آخر ليس لهما الحق في أن يدليا بأدنى رأي في مسألة زواجهما، حتى وإن كان هناك بعض الحالات الإستثنائية كوجود أسر في بعض المجتمعات تسمح

للأبناء بالإدلاء برأيهم في مسألة الزواج إلا أن ذلك يكون بصفة جزئية، فإرضاء الأسرة أو العائلة يبقى دائما ذا أهمية كبرى وأمرا يجب أن يحققه الإختيار للزواج. وما يميز الأسلوب الوالدي في عملية الإختيار للزواج هو إعطاء أهمية للإعتبارات الإجتماعية وكذلك الإقتصادية بغض النظر عن عاطفة الحب أو الصلات الشخصية التي قد تربط المقبلين على الزواج، والسعادة الشخصية بالنسبة لهذا الأسلوب ليست بالشيء المهم والأساسي وإنما هي شيء ثانوي وعاطفة الحب قد تولد بعد الزواج لا قبله في نظر الأهل[3].

2. **الأسلوب الفردي (الشخصي):**

وهو ذلك الأسلوب الذي تظهر فيه فعالية الفرد المقبل على الزواج في سير عملية الإختيار للزواج وفقا لرغبته الشخصية، بمعنى آخر أن الشخص الذي يعنيه الأمر يختار الشخص المناسب له دون تدخل من أحد وهذا لا ينف استشارة الأبناء للآباء(الوالدين) قبل أن يقدما على الزواج وموافقة هؤلاء لا تكون أقل قدرا من التدخل لأن في حالة الرفض لا يستطيعون تغيير إختيار الأبناء الشخصي في كثير أو قليل. إن أغلب المجتمعات العربية أخذت على عاتقها مسؤوليات كبيرة في الإختيارات الخاصة بالزواج وبالتالي أصبح المجتمع من عوامل الضبط البارزة في إستقرار نسق الزواج، وبالرغم من ذلك قد أتيح للشباب في المجتمعات الحضرية والعواصم الكبرى فرصا أكبر للإختيار الحر. لا يفوتنا أن نشير هنا أيضا إلى أنه رغم التطور الذي وصلت إليه المجتمعات الغربية، إلا أن الأولياء إستمروا في فرض المراقبة على زواج أبنائهم حتى مع ظهور بعض المبادرات من طرف الشباب في إمكانية إختيار الزوجة كان لابد من مراعاة شروط ذويهم بينما الفتاة بقيت تشهد مراقبة من طرف العائلة على معارفها ومخالطاتها وحتى على خروجها خاصة في سن المراهقة، والملاحظ أيضا هو أن الآباء في الطبقات العليا كانوا

يفرضون سيطرة واضحة على زواج أبنائهم أكثر من أبناء الطبقات السفلى إلى درجة المقاطعة في حالة رفض الأبناء لرغبة الآباء[3].

مجال الإختيار الزواجي:

أما مجال الإختيار الزواجي فيقصد به ذلك المجال الذي تتم فيه عملية الإختيار للزواج، أي الإطار الذي يحدده المجتمع للعائلة وكذلك الفرد للتحرك فيه أثناء عملية البحث عن الشريك المناسب للزواج سواء كان ذلك للرجل أو للمرأة، ومن بين المجالات المعروفة عبر التاريخ لإختيار الشريك في الزواج في أغلب المجتمعات وبما في ذلك المجتمع الجزائري، نجد المجال الداخلي وكذلك المجال الخارجي، وبناءا عليه ظهر هناك نظامان أساسيان لإختيار الشريك (ة) للزواج هما نظام الزواج الداخلي وكذلك الخارجي والذان أطلق عليهما علماء الإجتماع إسطلاحي الإندوماجي والأجزجامي، وهما كلمتان يونانيتان

Endogamy

كلمة مركبة من إندو بمعنى داخل باللغة العربية وجاموس بمعنى زواج باللغة العربية والكلمة كلها تعني الزواج الداخلي.

Exogamy

هي الأخرى كلمة مركبة من إجزو وتعني باللغة العربية خارج وجاموس وتعني الزواج والكلمة كلها تعني الزواج الخارجي، وكل منهما يختلف عن الآخر كما سيتضح لنا ذلك فيما يلي:

1. الزواج الداخلي (الإندوجامي):

إن القاعدة الإجتماعية لهذا النظام تحتم أن يكون الزواج من نفس أعضاء الأسرة أو القبيلة أو الطائفة وتوقع عقوبات على من يتزوج خارج الجماعة، وقد

يكون الزواج الداخلي في بعض الأحيان قائما على أساس الإلتزام أو الإختيار. بمعنى أن الشخص يتزوج من داخل الجماعة التي ينتسب إليها كما لهه حق الإختيار مع العلم أنه يمنع من أن يكون الشريك المختار من دائرة واسعة وغريبة. وهذا النوع من النظام في الزواج ساد العائلة التقليدية في كثير من المجتمعات لاسيما العربية منها والتي من بينها مجتمعنا[3].

2. **الزواج الخارجي (الإجزجامي):**

إن ما يميز هذا النظام أنه عكس النظام السابق فيما يخص عملية الإختيار للزواج حيث أن هذا الأخير يسمح للفرد بأن يختار ويتزوج من خارج نطاق الجماعة الأسرة أو القبيلة...، بمعنى آخر أن الشخص المقبل على الزواج له الحق في إختيار الشريك المناسب له للزواج من خارج الجماعة التي ينتسب إليها ولا تعد قريبة له فمجال الإختيار يمكن أن يكون واسعا وغير محدود. فلقد جاء في دراسة قام بها جاك قودي أن توجيه الزيجات في نظام الزواج الغربي أو الشرق هو زواج داخلي وذلك للحفاظ على السلالة وهذا ما يتضح جليا في مجتمعنا الجزائري فرغم وجود النظامين معا أي نظام الزواج الداخلي ونظام الزواج الخارجي نلاحظ أن النظام الأول كان سائر المفعول بين العائلات وهو ما يسميه البعض الزواج بإبن (ة) العم (ة) أوو إبن (ة) الخال (ة).

وبناءا عليه يمكن القول بأن المجتمعات الإنسانية عرفت على مر التاريخ أن الأسرة إما أن تقوم على أساس الزواج الداخلي أو الزواج الخارجي، وهذا نظرا لإعتبارات عديدة قد تؤخذ في الحسبان منها النظرة للأقارب بإعتبارهم من المحارم الذين لايجوز الزواج منهم، أو الرغبة في توسيع نطاق العلاقات القرابية من الداخل محافظة على الثروة أو العصبية أو الرغبة في إنشاء علاقات مع الغير

توسيعا لنطاق العلاقات الإجتماعية وطلبا لمراكز القوة التي تترتب على الزواج الخارجي[3].

الإختيار الزواجي في منظور الشريعة الإسلامية:

لا يفوتنا ونحن نتطرق إلى موضوع الإختيار الصائب لشريك الحياة الزواجية أن نتعرض إلى رأي الشريعة الإسلامية في مسألة الإنتقاء المناسب للزوج باعتبار الإسلام الديانة الأساسية التي يدين بها المجتمع الجزائري وسنعرض في هذا المقام بإيجاز أهم الضوابط الدينية التي ينبغي على كل من المرأة والرجل مراعاتها في اختيار الزوج (Mari)، والمتمثلة في خمس نقاط حددها حبيب الله طاهري [4] كالتالي:

التكافؤ في الإيمان والعقيدة.

- ✓ حسب ونسب العائلة.
- ✓ حسن الخلق.
- ✓ السلامة في البدن والعمر المناسب.
- ✓ سلامة الفكر والروح.

وأضاف عبد الله ناصح علوان [5] محددين آخرين هما :

- ✓ الزواج من غير الأقارب.
- ✓ تفضيل الزواج بذوات الأبكار [5].
- ✓ وفي الواقع إنه لمن المثير للإهتمام أن نحاول إستعراض جميع الخواص المطلوبة أو المفضلة في شريك الزواج إلا أنه من غير المفيد أن نتكلم عن أية خواص معينة قبل أن نجيب على هذا السؤال (زوج أو زوجة من؟) فالخواص المرغوبة أو المطلوبة متغيرة على الدوام وتعتمد على

شخصية وتوقعات الفرد الذي يتخذ القرار. ومعنى ذلك أن الخصائص أو الصفات نسبية وتختلف بإختلاف إتجاهات من وضع القائمة.

خواص شريك الحياة:

لقد ورد عن الخولي 1983، أن أحد الدارسين قد قام بدراسة عن إتجاهات مجموعة من الزوجات والأزواج نحو أنماط السلوك التي يشعرون أنها تسهم في نجاح أو فشل زيجاتهم، وقد ظهرت إجابات عديدة ومتنوعة ، ففي قائمة الأزواج نجد إجابات مثل: (أنها تعد الطعام في موعده دائما، وأنها تجيد حياكة الملابس، وأنها تعد لي دائما ملابس نظيفة، وأنها تغسل لي ظهري...)، أما إجابات الزوجات فكانت أيضا متنوعة وطريفة مثل: (إنه يساعدني في غسل الأطباق، إنه يحب الطبيعة، إنه لا يحكي نكت قديمة وهكذا)، ومن إستعراض هذه الإجابات يتبين لنا مدى الإختلاف في أوجه التفضيل التي تختلف من شخص لآخر. إن الإختيار المناسب قد يكون نصف المعركة، ولكنه مجرد نصف أي أنه بداية التوافق الزواجي وليس نهايته، فالموقف هنا لا يشبه ما يحدث عند إختيار مهنة مثلا فالظروف هنا مختلفة تماما من حيث التكيف والإعداد. إن الإختيار لا يتضمن فقط شخصية الفرد الآخر ولكنه يتضمن أيضا أشياء أخرى مرتبطة به، مثل الظروف التي سيعيش في ظلها الزوجان ومتطلبات مهنتهما ومكان السكن، ونمط أقاربهما، وهذه الأشياء ترتبط أكثر بإختيار الزوجة لزوجها أكثر مما ترتبط بإختيار الزوج لزوجته، لأنه من المحتمل في بعض الحالات حتى في الوقت الحالي حيث التغير الإجتماعي السريع أذ نجد أن طبيعة مهنة الزوج هي التي تؤثر إلى أبعد مدى في حياة أسرته، كما أنها لا تؤثر إلى حد كبير في تحديد دور الزوجة، ونوع الصلاحيات الشخصية التي تحتاجها لتنجز هذا الدور بنجاح. هذا بالإضافة إلى أن

مهنة الزوج تحدد إلى حد كبير مكان إقامة الأسرة وكذلك مكانة الزوجين في المجتمع المحلي[1].

وترى نفس الباحثة أن هناك بعض الإجراءات المتفق عليها في جميع المجتمعات، لابد من إتباعها لإتمام الزواج، إلا أن هذه الإجراءات تختلف من مجتمع إلى آخر، ففي بعض المجتمعات يسمح للأفراد المقبلين على الزواج أن يسهم في عملية الإختيار وفي هذه الحالة توجد درجة من الإختيار الشخصي بين طرفي الزواج، أما في حالة الزواج المرتب فإن العملية تحدث بين أعضاء الجماعة القرابية بوجه عام. وفي بعض الظروف لا يلق العريس عروسه قبل يوم الزفاف، إلا أن هذا الوضع أصبح نادرا في الوقت الحالي، إذ أنه من النادر أن تحدث عمليات الإختيار الزواجي مستقلة على النظم الأخرى مثل المدارس وجهات العمل والجيران[1].

وتضيف أنه طالما أن المتغيرات السالف الذكر تحدد مجال الإرتباط للأفراد والجماعات فمن المعتقد أنها تحدد أيضا مجال ترشيح الزوجة أو الزوج المرغوب فيه والذي من خلاله يتم إختيار شريك الحياة.

وفيما يلي سيرد ذكر بعض العمليات أو الآليات التي يعتمد عليها في عملية الإختيار الزواجي في المجتمع الجزائري:

بعض الآليات المعتمدة في الإختيار داخل المجتمع الجزائري:

1. **الحب والإعجاب في الزواج:**

يستخدم معظم الناس مصطلح الحب لوصف المشاعر تجاه عدد قليل من الناس الذين يشعرون نحوهم بالجذب أو التعلق الشديد، كما أنه ليس من الواضح عما إذا كان الإعجاب والحب هما مشاعر مختلفة إختلافا نوعيا، أم أن الحب هو

ببساطة شكلا حادا من أشكال الإعجاب، ونحن نفرق في حياتنا اليومية بين أنماط مختلفة من الحب كالحب الوالدي والحب الرومنسي والعاطفي وحب الأصدقاء وحب الزملاء وحب الإنسانية وحب الوطن وحب الله، وسنركز بإختصار هنا على الحب الرومنسي العاطفي، فقد قامت إيلين ووليم والستر بوصف هذا الإنفعال على أنه حالة من الإنغماس الحاد مرتبط بالإستثارة الفيزيولوجية القوية ومصحوبة بتشوق أو نشوة نحو الشريك ورغبة في تحقيق المشاركة[6].

فقد سمح إختلاط الفتاة بالرجل نتيجة التغير الإجتماعي وخروج المرأة للعمل بإقامة علاقات بين الجنسين وحدوث إستجابات عاطفية من قبيل الحب والإعجاب مما ساعد على ظهور ما يسمى بزواج الحب، حيث أصبح كل من الشاب والفتاة يضع في إعتباره ضرورة وجود العاطفة الإيجابية لكل منهما نحو الآخر قبل الزواج، ومع أن لهذا التوجه من التفكير قدر من الصحة ومع أن للحب والمشاعر والعواطف الإيجابية في العلاقة الزواجية أهميته البنائية والوظيفية والنمائية في حياة الأسرة ومراحل الزواج المختلفة إلا أنه يجدر بنا الإشارة في فكرة الحب بأنه كما أوضحت عائشة أحمد ناصر [7]، يمكن الموافقة على صحة وجود قاعدة مفادها ان كل زواج به درجة او أخرى من الحب على الرغم من أنه ليس كل حب ينتهي بالزواج، ذلك أن الإنسان يتزوج على أمل تحقيق السعادة والمشاركة والتفهم ومطالب وتوقعات وإشباع حاجات وأن هذا الأمل بحد ذاته يكفي ليكون بذرة سليمة لنمو الحب[7].

تصورات خاطئة عن مفهوم الحب:

ويجدر هنا التنبيه إلى مجموعة من التصورات الخاطئة التي لابد من وعي كل من الشاب والفتاة بها في هذا الصدد والتي أوردتها سناء الخولي [1] والتي نعرضها في التالي:

أول هذه الأخطاء عندما نقول لقد وقعنا في الحب، ذلك أنه من الصعب أن نعرف بدقة الدلالة التي تتضمنها كلمة الوقوع هذه، فالوقوع كلمة لها معاني عديدة، فنحن نقول مثلا: احترس حتى لا تقع على السلم، وقد يحمل الوقوع معنى السقوط أو الهبوط فنقول: هبط الليل أو هبطت درجة الحرارة أو سقط اللص صريع أو هبطت ثروة مفاجئة على شخص ما وهكذا، إلا أن الوقوع في الحب يختلف عن ذلك، فهو شيء لا يكون بمقدور الفرد أن يتحكم فيه ولذلك فإنه غير مسؤول عن نتائجه. ولكن من الخطأ أن نربط بين الوقوع في الحب والوقوع في فخ.

أننا عادة نفترض أننا نقع في الحب بقلوبنا فقط، ولكن هذا غير حقيقي فنحن نقع في الحب فعلا بقلوبنا ولكن أيضا بعقولنا، كما أن هذه العملية تتأثر إلى حد كبير بالتقاليد والعادات والأفكار الخاصة بالجماعة التي نعيش فيها والتي منها تنبعث إتجاهاتنا، ولهذا من الأفضل أن نقول أننا ننمو من خلال الحب وهذا أقرب إلى الحقيقة، فالحب عاطفة معقدة وهو يظهر عندما يعيد شخصان توجيه حياتهما، من خلال نقاط محورية جديدة على ذلك يكون الإنسان في حالة حب عندما يصبح في إمكانه أن يشبع الحاجات العاطفية لمحبوبه، ويصبح هذا الإشباع ضرورة عاطفية مطلقة بالنسبة له.

يعتقد بعض الأفراد أنه عندما يمارس شخص ما، ما يفسره على أنه حب فإن تجربته الحالية تفوق جميع الإعتبارات الأخرى، وهناك أيضا إفتراض بأن ما يشعر به الفرد في لحظة معينة لا يمكن أن يتغير، وإذن فلابد أنه الحب، وهذه الأفكار الخاطئة تندرج جنبا إلى جنب مع الفرض القائل بأن الحب هو بوجه عام تجربة تعنى بالدرجة الأولى بالجسد وإحتياجاته.

يعزو بعض الأفراد إلى الحب قوة لا نهائية حيث يؤكدون أنه إذا كانت العواطف قوية بصورة كافية فإنها سوف تؤثر إلى حد بعيد ليس في علاقاتهم ولا في زواجهم فحسب بل أن السمات غير المرغوب فيها سوف تتحول وتتشكل لكي تصبح ملائمة وذلك من خلال (بلسم الحب الشافي).

وهناك أفكار وتصورات خاطئة مشابهة تنسب إلى الحب، المقدرة على حل المشاكل، فكثير من الأفراد يدخلون في علاقات الحب بسعادة طاغية بغض النظر عن المشاكل الأخرى المتعلقة بالوالدين والدخل والإنجاب والوظيفة وإختلاف مستوى التعليم وغير ذلك من العوامل التي يكون أحدها أو كلها عائقا لإستمرار الحب عمليا.

يعتقد بعض الأفراد أنه لا يوجد في العالم سوى شخص واحد يمكنهم أن يقعوا في حبه ويجدوا معه السعادة، وهذا تصور رومنتيكي إلى حد بعيد ولا يستند إلى أية حقائق، فالقول بأن الأفراد الذين يتلاءمون مع بعضهم فقط هم الذين يقعون معا في الحب إفتراض زائف، والدليل على ذلك كما نعلم أن معدل المواليد يصل إلى حوالي مولود في الدقيقة وبالتالي يكون من الصعوبة بما كان أن نبحث في كل هؤلاء عن شخص وحيد لنقع معه في الحب، وماذا يحدث لو تحقق هذا الفرض في الواقع شخصان ممن لهما أفكار معينة متعلقة بالشريك المثالي يلتقيان ويقعان في الحب، إنهما في الحقيقة ينقحان ويعدلان خلال هذه العملية مثلهما الأعلى كي يتلاءم كل منهما مع الشخص الآخر، ونتيجة لهذا يعتقد كل منهما أنه وقع في حب الشريك المثالي، فبعد تنقيح وتعديل النموذج المثالي أو النموذج الأعلى وتركيزه في شخص معين فإن هذه الحقيقة سوف تشكل إتجاهه نحو الأفراد الآخرين، وقد يكون من الصعب في هذه الحالة الوقوع في حب أي شخص آخر.

وأخيرا فهناك فكرة شائعة جدا وهي أن الحب قد يحدث من أول نظرة، ولكنها فكرة خاطئة بلا شك، فقد يكون هذا الشعور الفوري إعجابا بالشكل قد يستمر أو لا يستمر وذلك تبعا لبقية العوامل الأخرى، بالإضافة إلى أهمية رأي الشريك الآخر، فقد يعجب شاب بفتاة بينما هي لا تبادله نفس الشعور والعكس صحيح، إن تصديق هذه التصورات عن الحب يجعلنا نعتقد خطأً أن الحب هو الأساس الوحيد للزواج ولكن من الخطأ أيضا أن نتصور أن الوقوع في الحب هو مجرد مطلب سابق لإتمام الزواج لا يلبث أن يتلاشى بعد الزواج حيث يواجه الزوجان حياة زواجية رتيبة ومملة ويعامل كل منهما الآخر بفتور شديد.

موقف الآباء من زواج الحب:

وعن موقف الآباء من زواج الحب تشير فاطمة المرنيسي إلى أن حق الآباء التقليدي في تقرير زواج أبنائهم يشغل محور الصراع، ويعارض الأبناء هذه الممارسة ويلحون على رغبتهم في الزواج الناجم عن حب، في حين أن الآباء من جانبهم يعتقدون بأن الحق يعود إليهم في إختيار شريك جنسي لإبنتهم أو إبنهم ويخول ذلك لهم سلطة كبيرة على الزوجين في حياتهما من دون شك، ويطالب الشباب على العكس من ذلك بحقهم في إختيار شريكهم، وكلما كانوا صغارا في السن كلما زاد إلحاحهم على الحق في الميل إلى من يشاؤون[8].

ولما كان سخط الوالدين على إبنهما العازم على الزواج ممن يرفضونه او يرفضونها، فإن الإبن الذي يتعرض لهذه اللعنة مهدد بالفشل في كل ما يقدم عليه، بإنهيار زواجه واشتعال النار في بيته وكساد تجارته وعموما عليه أن يتوقع قدرا مفزعا على الأرض في إنتظار الإكتواء بلظى جهنم يوميا، ونتيجة لذلك فإن معارضة الآباء لمشروع زواج أبنائهم فعالة في أغلب الأحيان ويعترف بعض الشباب من الجنسين بأنهم حقدوا على آبائهم نظرا للمأزق الذي وضعوا فيه، رضا آبائهم من جهة أو الشخص المحبوب من جهة أخرى، وتنتج عن ذلك

مجموعة من المواقف فبعضهم يثور داخليا ضد الآباء ولكنه لا يجسر على التحرك ويجد نفسه مشلولا وبعضهم الآخر يخطط لإتخاذ المبادرة ومواجهة إرادة الأبوين عمليا، وقلة منهم تهدد باللجوء إلى إجراءات متطرفة كقطع العلاقة بالوالدين أو الإنتحار[8].

2. الوساطة في الزواج:

من الآليات المعتمدة في عملية البحث والإختيار الزواجي الوساطة، ولقد سادت الوساطة في الزواج المجتمع العربي الإسلامي منذ أن حجبت المرأة عن الحياة العامة وكانت هذة العملية سارية المفعول خاصة في الجماعات المحافظة والمنغلقة، حيث مارست دورا كبيرا في التعريف والتقريب بين الراغبين في الزواج وتحقيق التجانس فيما بينهم على أساس الإقتناع والتفاهم وبصفة خاصة مع الآباء ممن لهم سلطة على أبنائهم كما حدث هذا أيضا في المجتمعات التي تباعدت فيها الثقة بين العائلات ولا يجري التعارف فيما بينهم والتي لم يقم فيها نظام الإختلاط بعد بين الشباب للتعارف والذي يساعد على الإختيار للزواج لهذا كان لنظام الوساطة في الزواج أثره في الإنتشار للمساعدة على الإختيار للزواج وكذلك الخطبة.

إن الوساطة في الخطبة يقوم بها رجل أو إمرأة يكون نشيطا ومحترفا في هذا المجال كالتمتع بالذكاء وطلاقة اللسان وتحسين التشبيه وضرب الأمثال إلا أنه في أغلب الأحيان تسند هذه المهمة إلى المرأة التي يسهل لها كيانها النسوي الدخول إلى المنازل والإختلاط بسيدات الأسر اللاتي لهن التأثير الكبير في تسيير هذه العملية ويطلق على هذه المرأة اسم الخاطبة، وهذه الأخيرة تطوف بأماكن معروفة كالحمامات والمقابر والأعراس وكذلك المنازل التي فيها فتيات في سن الزواج، وتذهب أيضا إلى الراغبين في الزواج من الشباب لتعرف منهم بعض المعلومات

وغالبا ما تأخذ منهم صورة تعرضها على أسرة الفتاة التي تراها لائقة لشاب معين، وإذا وافقت أسرة هذه الفتاة على ذلك الشاب تقدم إليها خاطبا، لم تكن مهمة الخاطبة البحث عن زوجة لرجل فحسب بل كانت تسعى أيضا للبحث عن زوج لفتاة كاسدة أو يخشى كسادها نظرا لعدم تقدم أحد لخطبتها، أو لإمرأة أيم، فإذا وجدت الخاطبة رجلا أعزب أو أيما أو غريبا يبحث عن زوجة أحاطت به واستهوته بما تبتدع من أوصاف لمحاسن الفتاة أو المرأة[3].

3. الزواج عن طريق الإعلانات (في المجتمع الجزائري):

لقد ذكرنا سابقا بأن التغيرات التي عرفها المجتمع الجزائري في مختلف مجالاته الإجتماعية والإقتصادية والثقافية بفعل عوامل التحضر والتصنيع والتعليم إنعكس تأثيرها على أسلوب الإختيار للزواج، حيث إنتقل هذا الأخير من الأسلوب الوالدي إلى الأسلوب الفردي، ولقد صاحب هذا التغير في عملية الإختيار للزواج صعوبات عديدة بالنسبة للأبناء المقبلين على الزواج بما فيهم البنات، جعلت المجتمع الجزائري يشهد مؤخرا إلى جانب الأساليب التقليدية في عملية الإختيار للزواج والمبنية أساسا على الإختيار الوالدي، الفردي إضافة إلى الوساطة في الزواج (الخاطبة) ظهور قنوات جديدة وأغربها عن قيم نظام الزواج في مجتمعنا والمتمثلة في أسلوب الزواج عن طريق الإعلانات، الذي تشرف عليه المؤسسات الإعلامية.

إن إقبال الشباب على هذه الطريقة في الزواج لا يدل بالضرورة على رفضهم للقيم الإجتماعيةوغايات الزواج لكن يمكن أن يكون هذا التصرف والسلوك الجديد تعبيرا عن رغبتهم في توسيع مجال الإختيار والتغلب على الصعوبات الموضوعية وبالتالي إظهار طموحات جديدة، ورغم أن الزواج كمشروع في ذهنية الشباب له كل الوقت في تحضيره إلا أنه يجد نفسه أمام حواجز

و عراقيل تصعب من خلالها عملية الإختيار للزواج وإتمامه، فالرجل الشاب بالإضافة إلى كونه غير راض على إختيار والديه نجده غير قادر على إيجاد الزوجة المناسبة عن طريق الإتصال المباشر وهذا بسبب إنعدام الأماكن المعترف بها للتعارف وإلتقاء الجنسين مما يجعله يتقدم في السن بحجة الدراسة وبناء مستقبله العلمي وتوفير الإمكانيات اللازمة للزواج.

والمرأة الشابة طموحها في الصعود الطبقي من خلال الزواج ووجودها في محيط إجتماعي لا يتماشى ومستواها التعليمي والمهني وكذلك وجودها في مجتمع لا يسمح بل يحرم إنشاء علاقة مع الجنس الآخر جعلها تؤجل فكرة زواجها لوقت غير محدد. إن وجود مثل هذه العراقيل المذكورة بالنسبة للشاب أو الشابة من ناحية إضافة إلى المشاكل المادية كالمهر وأزمة السكن من ناحية أخرى زاد ويزيد من حدة عزوف الشباب عن الزواج، كما أن توتر العلاقات الأسرية إستوجب دخول طرف ثالث ليكون كوسيط في الزواج يربط بين الأطراف الراغبة فيه ألا وهو الجريدة التي ظهر معها أسلوب الزواج عن طريق الإعلام. ولقد عرف المجتمع الجزائري ظاهرة الزواج عن طريق الإعلان مباشرة بعد الإستقلال.

ومهما تعددت الأسباب فإن الأكيد هو أن هذه الظاهرة فرضت نفسها عندنا بحدة حيث أصبحت جرائدنا التي فتحت هذه الأركان على صفحاتها تنافس مجلات عربية لها سمعتها في هذا المجال والتي نذكر من بينها على سبيل الميثال الوطن العربي، كل العرب[3].

وفي الأخير لا يفوتنا أن نشير إلى أن الزواج عن طريق الإعلان لم يقتصر على وسائل الإعلام المكتوبة والمنطوقة فحسب وإنما إمتدت الظاهرة لتشمل المساجد وهذا قصد تسهيل مهمة الزواج بالنسبة للشباب حيث عملت بها الجماعات الإسلامية منذ 1991 تحت إسم (مشاريع الزواج) علما بأن هذه

الأخيرة ليست لها علاقة بالإعلانات المعهودة في الجرائد فهي لا تأخذ طابعا إشهاريا لأن طلبات وعروض الزواج يتم تدوينها في دفتر خاص لا يتطلع عليه أحد سوى الشخص المكلف بالمهمة والراغب في الزواج، ويكون المكلف في غالب الأحيان هو الوسيط في عقد القران[3].

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره من أساليب وطرائق للإختيار الزواجي تشير سناء الخولي [1]، إلى أنه ثمة متغيرات أخرى تحدد مجال الإرتباط للأفراد والجماعات وتحدد أيضا مجال ترشيح الزوجة أو الزوج المرغوب فيه والذي من خلالها يتم إختيار شريك الحياة ومنها:

- **السن عند الزواج:**

يبدأ سن الزواج بعد سن النضج البيولوجي بكثير أو قليل تبعا لظروف الشخص المقبل على الزواج. وفي إستطاعة الشخص أن يختار من يتزوجه سواء كان مماثلا له في السن أو أكبر أو أصغر (في حدود الشرعية)، وسن الزواج المسموح به قانونا في المجتمع المصري مثلا هو 18 سنة للفتى و16 سنة للفتاة [1]، بينما عندنا في الجزائر يحدد سن الزواج قانونيا ب 19 سنة للفتاة والفتى حسب ما ورد في التعديل الأخير لقانون الأسرة الجزائري الصادر في سنة 2005 وللقاضي أن يرخص بالزواج قبل ذلك لمصلحة أو ضرورة، ولكن تقول الخولي أنه كثيرا ما يحدث إنتهاك لهذه القوانين وخاصة في المناطق الريفية، حيث يتم زواج فتيان وفتيات دون سن الزواج بكثير عن طريق إستخراج شهادة تسنين والإدعاء بفقد شهادة الميلاد الأصلية-في المجتمع المصري-، إلا أنه نتيجة للتغيرات الإجتماعية والثقافية والمحلية إرتفع سن الزواج وخاصة في المناطق الحضرية. لأن أعداد كبيرة من الشباب يلتحقون بالتعليم بمراحله المختلفة، وتستغرق بعض أنواع التعليم سنوات عديدة، لابد أن تتلوها فترة من الإستقرار المادي والإستعداد

للزواج، مما جعل سن الزواج في الوقت الحالي يتراوح بين 23 و28 سنة للفتيات، و27 و34 سنة للشباب وتقريبا فالأمر لا يختلف كثيرا عما هو الحال في المجتمع الجزائري .

والوضع المألوف لسن الزواج تقول الخولي هو: أن يكون الشاب أكبر من الفتاة سنا ويرجع ذلك إلى أن نضج الذكر بيولوجيا عادة ما يكون أبطأ من نضج الأنثى كما أن الزوج بإعتباره رئيس الأسرة والمسؤول عنها يحتاج لوقت أطول ليصبح مؤهلا لهذه الوظيفة، هذا وتكون إختلافات السن في الزواج أقل في الأعمار الصغيرة وتزيد كلما تقدم السن، لأن الرجال يفضلون دائما الزواج ممن تصغرهم سنا[1]، وعوامل أخرى مثل:

القرب المكاني:

المكانة الإجتماعية:

عوامل لابد من مراعاتها في مرحلة الإختيار الزواجي:

يرى صالح حسن أحمد الداهري[9] أنه في مرحلة الإختيار وإتخاذ قرار الإرتباط يجب التنبه لمجموعة من الأمور حتى تتم هذه العملية بسلام وتحقق أهدافها المرجوة وهي:

- ✓ الوعي بالذات ومواجهة مواطن الضعف في الشخصية (مهما كان ذلك مؤلما) حتى يعي الفرد إحتياجاته ويدرك ما يريده من الطرف الآخر.
- ✓ حل المشكلات المتراكمة في الماضي قبل التفكير بالإرتباط، فتكرار التأثر بخبرات الماضي المؤلمة نظرا لإهمالها وعدم معالجتها قد يقضي على فرص السعادة.

- ✓ التروي في التعارف والإختيار، فالدراسة والفهم الواضح لنمط شخصية الطرف الأخر (نفسيته، نقاط قوته وضعفه)هي التي تساعد على خلق التفاهم والإحترام والمراعاة، وعلى الأهل تأمين مساحة زمنية وبيئة نظيفة-من خلال الزيارات العائلية والعزائم ومكالمات الهاتف على سبيل الميثال- لتعرف الطرفين على بعض، والإستماع للأبناء وتشجيعهم على التواصل بأريحية والإبتعاد عن العصبية والعاطفة المبالغ فيها، فالنصيحة الواعية غير المربكة هي ما يحتاجه الأبناء حتى يكون الإختيار ناضجا ومناسبا.

- ✓ عدم التأثر بضغوط الأهل والمعارف، فالعروسان وحدهما سيتحملان مسؤوليات ونتائج الزواج، وعلى الأهل أن لا يضغطوا على الأبناء للموافقة أو الرفض، ويقوموا بالسؤال عن خلفية الطرف الآخر وعائلته، وعن معشرهم وسلوكياتهم وقيمهم، وعدم التقيد بمصدر واحد للمعلومة، فقد يأخذ جانبا من التحيز السلبي أو الإيجابي ومن ثمة يترك المجال للعروسين للإختيار، فالإختيار الشخصي هو ترجمة للحريات التي يتمتع بها الفرد وإن ضغط الأهل سواء على الفتاة أو على الشاب للزواج يترجم عجز الشباب وتعدي أهلهم على حقوقهم، كما أن تقدير الأهل للإنجذاب والمظهر قد لا يتناسب مع أمزجة وتقديرات الشباب ما يجعلهم يشعرون بأنهم مجبرين على العلاقة الزوجية، فيحملوون الشريك مسؤولية عجزهم ويعاقبونه بسوء المعاملة، أما الإختيار الشخصي يجعل الطرفين يبذلان جهدا أكبر للتفاهم، ما يزيد من تقييمهم للعلاقة والمحافظة عليها.

- ✓ الإختيار بالعقل والعاطفة معا، فالإعجاب هو المحرك الأساسي للمشاعر في بداية الإرتباط، حيث يغلب الإنفعال والإنجذاب على معظم القرارات

والسلوكيات، لذلك يجب إعتماد التفكير الواقعي إلى جانب المشاعر حتى ينجح الطرفان في التعرف على بعضهما والتحضير نفسيا وعاطفيا لتحمل مسؤولية القرار[9].

الخاتمة:

نظرا للأهمية الكبرى التي تتصل بعملية الإختيار الزواجي خدمة للفرد والزواج والأسرة والمجتمع، كان لزاما علينا ونحن نحاول معرفة الأسس السليمة لإنتقاء الشريك المناسب ضمان لحياة زوجية وأسرية مستقرة ومتوافقة، أن نتناول الكيفيات الجاري العمل بها في المجتمع الجزائري لسير هذه المرحلة وخصائصها وطقوسها والعوامل التي تسهم في تغيرها، حتى يمكن التوصل إلى الآليات النفسية الإجتماعية والثقافية المنظمة والمسيرة والمتحكمة فيها بغية إيجاد الآليات والطرائق التي تضمن توافقية الإختيار وسوائه في دون المس بالخصائص الجوهرية السليمة للمجتمع التي تعطيه ميزته وثقله، تجنبا لإصطدام الفرد وسلوكاته بالمعيار والعرف الإجتماعي، لأن هذا يمكن أن يشكل بداية اللاتوفق الشخصي والزواجي للفرد وعلاقته الزواجية بشريك حياته.

❖ هوامش البحث

1. سناء الخولي: **الزواج والعلاقات الأسرية**، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1983، ص149-154-159-160
2. جهاد محمود علاء الدين: **نظريات وفنيات الإرشاد الأسري**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ص24-25.
3. مليكة لبديري: **الزواج والشباب الجزائري إلى أين**، دار المعرفة، الجزائر، 2005، ص ص 25-33.
4. حبيب الله طاهري: **مشاكل الأسرة وطرق حلها**، ط2، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2003.
5. عبد الله ناصح علوان: **تربية الأولاد في الإسلام**، م1، ط4، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة –مصر- 2005.
6. ليندا دافيدوف: **السلوك الإجتماعي الوراثة البيئة الروابط الإجتماعية**، ترجمة إبراهيم العرابي الدار الدولية للإستثمارات الثقافية، القاهرة مصر، 2000، ص92.
7. عائشة أحمد ناصر: **التواصل والمحبة وتقدير الذات في العلاقة الزوجية التوافق بين لغة العقل والقلب والوجدان**، منشورات الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ،لبنان، 2009، ص66.
8. فاطمة المرنيسي: الجنس **كهندسة إجتماعية بين النص والواقع**، ط2، نشر الفنك، الدار البيضاء ،المغرب، 1996، ص ص 83-85-86.
9. صالح حسن أحمد الداهري: **أساسيات الإرشاد الزواجي والأسري**، ط2، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان –الأردن، 2008، ص ص19-20.